ايفان تشيغرينوف، كاتب سوفييتي مشهور، يكتب الكثير عن القرية البيلوروسية، التي يعرفها تمام المعرفة. ولد ايفان تشيغرينوف عام ١٩٣٤ في قرية فيليكي – بور الواقعة في منطقة موغيليوف، في أسرة فلاحية. وفي عام ١٩٥٧ تخرج من كلية الصحافة التابعة لجامعة بيلوروسيا للدولة التي تحمل اسم ف. ا. لينين، عمل في حقل الصحافة والنشر لسنين عديدة. وصدرت له اول رواية في سنة ١٩٦١. فهو يتمتع بشهرة واسعة ككاتب روايات شعبية، والكثير من القصص والحكايات. في عام ١٩٧٨ شارك ضمن وفد جمهورية بيلوروسيا الاشتراكية السوفييتية في أعمال المؤتمر الثالث والثلاثين للهيئة العامة للأمم المتحدة. هو حائز على جائزة أ. فادييف للآداب، وعضو في الهيئة الادارية لاتحاد كتاب بيلوروسيا.

ونود أن نلفت نظر القارىء الى أن كتاب ايفان تشيغرينوف «ثمن الدم» يعتبر الرواية الثانية للملحمة الكبيرة، المكرسة لاعوام الحرب الوطنية العظمى التي خاضها الشعب السوفييتي ضد الهتلريين الغزاة. ففي الرواية الاولى من الملحمة التي صدرت عن دار «رادوغا» تحت عنوان «نواح السمان» تمكن القراء العرب من التعرف على أبطالها، سكان القرية الصغيرة، وعلى الحوادث الاولى التي جرت في أيام الحرب الاولى. ففي رواية «ثمن الدم» يواصل المؤلف روايته الأليمة. فاذا كانت رواية «نواح السمان» قد تطرقت الى الايام الستين الأولى لاحتلال بيلوروسيا وقرية

— ١ —

مر طابور المشاة الالماني أمام بيت كاندروسيفتش متوجها الى فيريميكي منذ زمن، لكن قلائل هم الذين رأوه لأن كافة راشدي القرية كانوا في حقل بادوبيشي.

أول من شاهدت الالمان كانت لقلق عجوز وحيدة فوق عشها عند المقبرة. كانت جائعة جدا وواهنة وعلى العموم لم تعرف الشبع هذا العام. وكانت نادرا ما تغادر البتولا لتبحث عن غذاء بين العشب في المقبرة او على تخم المستنقع. وفي دوختها بدا لها الطابور الالماني من الاسفل حنشا متلويا.

— ٢ —

– هكذا يا زازيبا. وضع اهل قريتك الخوازيق في الحقل وسترى قريبا كيف يفلحون الارض من جديد وكما في السابق سيعيش كل واحد بانفراد، على هواه. وبكلمة واحدة كأنه لم تمض عشر سنوات من الحياة السعيدة الرائعة!..

فيريميكي من قبل المحتلين الهتلريين، التي تدور الرواية حولها والتي كانت تبدو في عمق الأراضي المحتلة، ولم تقاسي من الوضع المأساوي الى ابعد الحدود بكل ويلاته. فان الرواية الثانية «ثمن الدم» تظهر لنا ابطالها وهم في قلب وصميم المأساة الشعبية العامة. انهم يدركون تماما وبأنفسهم شخصيا مدى الويلات التي يجلبها «النظام الهتلري الجديد»، الذي فرضه الفاشيست على الأراضي السوفييتية المحتلة. ان المؤلف يصف ميزات ابطاله وطبيعتهم ومعنوياتهم النفسية، وصفا دقيقا مفصلا وبجلاء. يقع الكثير منهم في ظروف صعبة وحرجة جدا. ويضطرون لاتخاذ القرارات الحاسمة الهامة، يرجع رئيس الكولخوز روديون شوبار الى القرية، والذى لم يتمكن من الذهاب مع وحدات الجيش السوفييتي المنسحبة. يعود الى بيته مخترقا الغابات، مفكرا بالأسلوب الذى يجب اتباعه في محاربة العدو، وكيفية تنظيم المقاومة الشعبية ضد المحتلين. يقي دنيس زازيبا، مساعد رئيس الكولخوز، الحائز على اوسمة كثيرة، والذى شارك في الحرب الأهلية مدافعا عن منجزات ثورة اكتوبر، ليتولى مسؤولية الدفاع عن القرية. فهو انسان في منتهى الهدوء، يتمتع بثقة كبيرة، حازم، يقظ، متبصر. ان هؤلاء الناس الذين يتمتعون بشهرة جيدة في المنطقة – شوبار وزازيبا، وأهل القرية يحظون بنفس الأهمية والاهتمام. فهم سواسية وعلى قدم المساواة لدى المؤلف – اذ أن كل واحد منهم على قدر من الاهمية، كبيرا كان أم صغيرا، ان الخطوة الثابتة الجريئة لهؤلاء الناس في مواجهة الأعداء – هي بمثابة خطوة على طريق النصر. كذلك، يتناول ايفان تشيغرينوف في روايته، الحديث عن اولئك الذين يتعاونون مع المحتلين، ويظهرون في القرية. ويفكر الكاتب بنوعية هؤلاء الناس، ويعطي للقارىء صورة واضحة لبيلوروسيا أثناء احتلال الهتلريين لها – عشية ظهور المنظمة الفدائية. وكأنه يتتبع والقارىء، بداية ونشوء الحركة الفدائية البيلوروسية، التي تصبح في غضون أشهر، بمثابة كابوس مزعج يقض مضاجع المحتلين، فلا يقدرون على القضاء عليها، او ايقافها رغم اتباع كافة اساليب البطش والارهاب، وأفظع أساليب الابادة الجماعية.